الكتب الموجزة
كأداة تعليم وتثقيف

للأستاذ إيليا حليم حنا

ما هي الكتب الموجزة ؟

أقصد بالكتب الموجزة الكتب التي تعطينا الفكرة الأساسية المتماسكة المشوقة من الموضوع بشكل عام دون أن تخوض في دقائقه فتثير رغبتنا في الاستزادة ، فنجري وراء التفاصيل في مصادر أخرى فتكون بذلك سلماً ووسيلة تشويق للالمام بالموضوع وحافزاً لقراءة الكتب المطولة الأصيلة .

وهذه الكتب هي الطريق إلى مدارك العامة وقلوبهم يجدون فيها غناء لا يتعب الذهن في تلقفه ، لأنها لا تتناول الاصطلاحات الفنية والتفاصيل العلمية المعقدة . وهي لا تفيد العامة فقط ، فإنها ذات فائدة كبيرة للخاصة الذين يشغلهم موضوع واحد قد لا يتسع وقتهم لتيره فتكون لهم في النواحي المختلفة الأخرى أداة تثقيف قيمة في نواح مغايرة .

ولا يقصد بهذه الكتب تلك الملخصات التي تعطي نتفاً من الموضوع من هنا وهناك دون تماسك وتشويق من باب العلم بالموضوع فقط ، فإن هذه صيغة الأمر تكاد لا تثير الرغبة في القراءة ، لأن مادة هذه الملخصات أشبه بجسم معلق في الهواء لا يرتكز على حامل يحمله . وهذه الكتب التي لا تتناول الموضوع كوحدة متماسكة مشوقة هي العامل الأول الذي لا يجعل المتعلمين يقبلون على القراءة بعد تخرجهم في مدارسهم ومعاهدهم . وطالب العلم في مراحل دراسته المختلفة يركز الفكرة المبتورة على الحافظة والاستذكار ، وليس على التفكير السليم والرغبة ، فيعاني كثيراً في حفظ ووعي الملخصات المدرسية التي لا ترابط بينها ، ويحاول أن يبقيها بالتكرار ، ثم لا يلبث أن ينساها ، ثم يعود من أجل الامتحان فيستذكرها وهكذا ، وتكون النتيجة أخيراً أن ينفر من المواد التي درسها في المدرسة ، ولا يحاول أن يقرأ ما يمت إليها بصلة بعد أن ينتهي من مرحلته الدراسية ، لأن معلوماته كانت ملخصة تلخيصاً بعيداً عن مبدأ الكلية ، أي إدراك الشيء وتذوقه كوحدة حية قبل فحص طريقة تركيبه من أجزاء مختلفة . والشخص منا يرى الزهرة كلها فيعجبه منظرها وشكلها ، وإذا لو قدمت له أول مرة يراها فيها مشرحة إلى أجزاء لا تماسك بينها ولا اتساق ، فإنه لا يلبث أن يلقي بها ولا يرى فيها أي جاذبية . هكذا الملخصات التي لا يراعى فيها الناحية الكلية عند تقديمها تكون أشبه بأشلاء مبعثرة لا ترابط بينها ولا حياة فيها .

ودراسة الشيء كوحدة بأسلوب مبسط سهل يجعل هذه الوحدة نواة للتثقيف والاتساع في محيط هذا الشيء ، وأرى أن نبدأ بصورة كاملة عامة عن المادة بحيث نبرزها بما يشوق فيها في الكتب الملخصة أو الموجزة ، وهنا يجعلنا نسعى من تلقاء أنفسنا إلى الاستزادة منها ، فمثلا في بدء دراسة علم الفلك ، أو عند وضع كتاب موجز عنه أرى أن نبتعد عن القوانين الطبيعية ، ونعالج عجائب الكون معالجة مشوقة في هيئة قصة من الأفلاك في مسالكها ، وموضع بعض النجوم والكواكب التي ترى بالعين المجردة ووقت ظهورها ، ثم نذكر شيئاً مشوقاً عن النجم الذي تتأمل صفحة السماء فتراه . وأنا واثق أن هذا سيدفع من يقرأه إلى الاستزادة في كتب أصيلة مطولة . وفي التاريخ أيضاً بدلا من أن نتكلم عن الوقائع الحربية وأسبابها ونتائجها يجب أن نبدأ بحياة أحد الملوك كقصة ، ونبرز فيها النواحي المثيرة ، أو لخصال

عمدت لإبراهيم فانتخبت فتى ثبت الجنان على الزمان جليدا

هذا ما خلد به أمير الشعراء أحد شوقي بك زعامة إبراهيم المبكرة التي أهلته لها جدارته ، وقفزت به إليها كفاءته .

وبعد ، فلست أدري ، ولا المنجم يدري — كما يقولون — لِمَ أسقط هذان البيتان من القصيدة الخالدة حين طبع الجزء الأول من ديوان الشوقيات ؟ !

أللحزبية الصارخة في ذلك العهد يد في هذا ؟ أم ماذا ؟ !

وهل من الأمانة للأدب أن نغير بعض روائعه في لحود الإهمال وزوايا النسيان لأي غرض مهما يكن ؟ !

وقصارى الكلام نأمل أن يتدارك هذان البيتان الخالدان لدى الاضطلاع بأول طبعة في المستقبل لهذا الديوان أداء للأمانة وإنصافاً للناس ، فهذا شأن كل طاهر الضمير ، طيب الأرومة ، عريق الأساس ... والسلام على من اتبع الهدى .

محمد حسين القفار
المدرس بالأزهر الشريف